مجلة بحوث جامعة تعز Taiz University Research Journal
العدد (45) Issue (45)
TURJ
ISSN : 2958-7484 Vo 45.pp9-34
سبتمبر ٢٠٢٥م September 2025م

الاستشراق وعلاقته بالقراءات القرآنية

إعداد الطالب/ خليل علي محمد قائد

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع القراءات القرآنية، وعلاقة المستشرقين بالنص القرآني وعلومه، وما هي أهم الدوافع والأهداف التي دعتهم إلى دراسة علوم الشرق، ومنها القراءات القرآنية، مع بيان أبرز الشخصيات المستشرقة التي تناولت موضوع القراءات القرآنية.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، مع الاستعانة بالمصادر الأصلية والحديثة، وخلص إلى نتائج مهمة، منها: ثبوت القراءات بالتواتر، وعدم صحة الشبهات المشارة حولها، وأنَّ كثيرا من الطعون كانت بدوافع دينية وسياسية.

ويهدف البحث إلى الذب عن القرآن الكريم، وتعزيز الثقة بتواتر نقله عبر سلسلة الرواة من النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى يومنا هذا عبر قراءاته المشهورة، والتعريف بأشهر الطاعنين بها.

المقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، النبي الأمين- صلى الله عليه وسلم-، ورضي الله عن أصحابه، الذين حفظوا القرآن الكريمَ في الصدور والسطور، وحافظوا عليه من التبديل والتحريف، والزيادة أو النقصان، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فالقرآن الكريم هو المعجزة العظمى، والحجة البالغة الكبرى، الباقية على مر الدهر لرسول البشرية سيدنا محمد المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، تحدى به الإنس والجن كافة أن يأتوا بمثله، أو ببعضه، فباءوا بالعجز والخذلان.

وإنَّ القراءات القرآنية تُعدّ من أهم علوم القرآن التي حافظت على النص القرآني، وفتحت أبوابًا لفهم أعمق وإدراك أوسع لمعانيه، وهي تمثل وجهًا من وجوه الإعجاز الإلهي في التنوع دون اختلاف أو تناقض، وقد لقي هذا العلم اهتمامًا بالغًا من علماء المسلمين، الذين نقلوا هذه القراءات بتواتر دقيق عبر الأجيال، ما جعلها جزءًا أصيلًا من الوحي المنزل على النبي محمد-صلى الله عليه وسلم-.

ومع انفتاح الدراسات الغربية على النصوص الإسلامية، ظهرت حركة الاستشراق، التي سعت في كثير من أطروحاتها إلى دراسة القرآن وعلومه، حيث أثار بعض المستشرقين شبهات متعددة حول علم القراءات القرآنية، متسائلين عن سبب هذا التنوع، وعن مدى صحة نسبته للنبي-صلى الله عليه وسلم-، بل وذهب البعض إلى اعتباره دليلاً على عدم استقرار النص القرآني.

وهذا القرآن الكريم، الذي أنزله الله بقراءات المتنوعة، تخفيفًا وتيسيرًا بالأمة، واجه كتبته مشقة بالغة؛ لأنهم اصطلحوا على رسم يستوعب جل هذه القراءات، ولا سيما أنَّه كان خاليًا من الإعجام والشكل، فكان هذا الرسم البديع الحل الأوفق لاستيعاب هذا الكم الهائل من هذه القراءات التي تواترت إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله، وهذه القراءات والرسم العثماني التي كُتبت به كانت مدخلًا كبيرًا لإثارة الشبهات من قِبل وغيرهم، غايتهم في ذلك الطعن في القرآن الكريم[١].

"وحكمة الحق في الخلق اقتضت أن تكون هناك بينات وشبهات، وأن لا تكون البينات قاهرة ولا الشبهات غالبة، فمن جرى مع فطرته من حب الحق ورباها ونماها وآثر مقتضاها، وتفقد مسالك الهوى إلى نفسه فاحترس منها، لم تزل تتجلى له البينات وتتضاءل عنده الشبهات، حتى يتجلى له الحق يقينًا فيما يطلب فيه اليقين، ورجحانًا فيما يكفي فيه الرجحان، وبذلك يثبت له الهدى ويستحق الفوز، والحمد والكمال على ما يليق بالمخلوق، ومن اتبع الهوى، وآثر الحياة الدنيا، تبرقعت دونه البينات، واستهوته الشبهات، فذهبت به (إلى حيث ألقتْ رحلَها أمُّ قَشْعم)[٢]،[٣].

وإنَّ من أشرف العلوم، وأجلِّ المعارف هي العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وإنَّ علم" القراءات القرآنية" من هذه العلوم، وهو ذروة سنامها، وواسطة عقدها، وبيت قصيدها؛ ولما كان هذا العلم بهذه المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة؛ اهتم به العلماء قديمًا وحديثًا، والبحث في هذا الموضوع له أهمية كبرى ولا سيما أنه يتعلق بالدراسات القرآنية في هذا العصر خاصة، عصر مواجهة التحديات وصراع العقائد والأفكار، والحرب على الإسلام والمسلمين قائمة على قدم وساق، وقد اختلطت الرايات، وكثرت الشعارات، فما أحرانا أمة التوحيد أن نرفع راية القرآن التي لا تهزم، فقرآننا هو الحل الحتمي لمشكلات عصرنا.

وأشكر الله سبحانه وتعالى على نعمته العظمى بأن حقق لي أملًا كبيرًا كان يملأ نفسي، وهو أن أحيا في رحاب كتاب الله تاليًا ودارسًا، وبعد استخارة الله تعالى، وبهذا المجال رغبتُ أن يكون موضوع البحث، بعنوان "الاستشراق وعلاقته بالقراءات القرآنية" حتى يتم بيان العلاقة بين المستشرقين والقراءات القرآنية، ويستفيد منه الباحث والقارئ على حد سواء.

أهمية الموضوع:

تُعدّ القراءات القرآنية من أبرز علوم القرآن الكريم التي حافظت على أصالة النصّ القرآني، وبيّنت وجوه الإعجاز في تنوّعه وثرائه، وقد شكلت القراءات بابًا من أبواب الفهم العميق للنصّ، وأداة لبيان المعاني والدلالات المختلفة التي تكمّل بعضها بعضًا دون أن تُحدث خللًا في البناء العام للآيات.

في المقابل، أثار بعض المستشرقين جملة من الشبهات حول هذا العلم، قد يكون بعضها نابع من الجهل بطبيعة القراءات وضوابطها، وقد يكون البعض الآخر بدوافع تشكيكية.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع، لما فيه من:

- دفاع علمي ومنهجي عن القرآن الكريم أمام الشبهات.
- كشف الجهل المنهجي الذي وقعت فيه بعض الدراسات الاستشراقية.
- بيان أصالة علم القراءات وارتباطه بالوحي.
- تعزيز الثقة لدى القارئ المسلم بنص القرآن، وتوسيع إدراكه لمعانيه.
- دعم الدراسات القرآنية بردود رصينة قائمة على المنهج العلمي والتحليل النقدي.

وتكمن أهمية هذا الموضوع أيضًا من أهمية القرآن الكريم وقراءاته، وإنَّ العلوم تشرف بشرف موضوعاتها، وتتفاضل بمدى فضل بحوثها ومسائلها.

ويحاول هذا البحثُ بيانَ سمات مدرسة المستشرقين ومحاولة تأثيرها على دراسة النصِّ القرآني عامة، وطريقتهم في التعامل مع القرآن الكريم وقراءاته، مع بيان أهم مخاطر الشبهات التي وضعوها على القراءات القرآنية.

مشكلة البحث وأسئلته:

تُعد القراءات القرآنية أحد أوجه التلقي الثابتة والمتواترة لنصّ القرآن الكريم، إلا أنها لم تَسلم من محاولات الطعن والتشكيك، وخصوصًا من قبل المستشرقين الذين تصدّوا لهذا الميدان، فأثاروا جملة من الشبهات حولها، طعنًا في ثبوتها، وتشكيكًا في مصدرها، وزعزعةً لثقة المسلمين بنقل كتابهم الكريم.

ومن هنا تنبع مشكلة هذا البحث، التي يسعى من خلالها إلى إيضاح دور المستشرقين في القدح في القراءات في ضوء المنهج العلمي، وبيان حقيقته ومآخذهم، وتتفرع من هذه المشكلة الأسئلة الآتية:

١) من هم المستشرقون الذين تبنوا هذه الشبهات؟

٢) وما موقفهم من القراءات القرآنية؟

٣) ما الدوافع التي حملت المستشرقين على إثارة الشبهات حول القراءات؟ وما أبرز سمات منهجهم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمنهجية، تتمثل فيما يلي:

١- بيان العلاقة بين المستشرقين والقراءات القرآنية، من خلال كتاباتهم ومصادر تلك الكتابات.

٢- التعريف بأهم المستشرقين الذين كان لهم دور بارز في التشكيك بالقراءات القرآنية ومصدرها.

٣- تعزيز الوعي العلمي بأهمية علم القراءات القرآنية، لا سيما لدى طلاب العلم والباحثين، ودوره الحيوي في مواجهة حملات الطعن والتشكيك الموجهة للقرآن الكريم.

٤- الإسهام في الذب عن كتاب الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت الدوافع التي ساقتني إلى اختيار هذا الموضوع، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١) كثرة الشبهات المثارة حول القراءات القرآنية، والتي طعن من خلالها بعض المشككين في سلامة النص القرآني، مما أدى إلى تأثر بعض أبناء الأمة الإسلامية بهذه الشبهات، سواء عن جهل أو عمْد.

٢) الإسهام في إثراء البحث العلمي في مجال القراءات القرآنية، باعتباره من العلوم القرآنية العميقة التي تحتاج إلى المزيد من التأصيل والتوضيح في هذا العصر.

٣) قلة الإقبال على تعلم علم القراءات القرآنية، مع ندرة المتخصصين فيه في المؤسسات الأكاديمية، رغم كونه من الركائز الأساسية لفهم القرآن الكريم ونقله.

٤) تصحيح المفاهيم المغلوطة حول طبيعة القراءات القرآنية، وبيان علاقتها بالتلقي والنقل المتواتر، وردّ الفهم الخاطئ الذي يربطها بالتحريف أو التناقض.

هيكل البحث:

بعد الحديث عن المقدمة وما اشتملت عليه من مشكلات الدراسة وسبب الاختيار، ثم بيان أهمية الموضوع وأهدافه، جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث، ضمنتها سبعة مطالب، ثم خاتمة اشتملت على أهم النتائج على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى الاستشراق وتأريخ نشأته

المطلب الأول: معنى الاستشراق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق وتاريخه

المبحث الثاني: علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية ودوافعهم

المطلب الأول: علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية

المطلب الثاني: دوافع المستشرقين وأهدافهم

المبحث الثالث: أبرز المستشرقين الذين طعنوا بالقراءات القرآنية

المطلب الأول: ترجمة المستشرق جولد تسيهر وأهم كتاباته

المطلب الثاني: ترجمة المستشرق بلادشير وأهم كتاباته

المطلب الثالث: ترجمة المستشرق نولدكه وأهم كتاباته

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول:

معنى الاستشراق وتأريخ نشأته

سأبيّن في هذا المبحث أولًا ماهية الاستشراق، ثم نشأته وتاريخه، وذلك من خلال المطلبين التاليين.

المطلب الأول

معنى الاستشراق لغَةً واصطلاحًا:

أولاً: التعريف اللُغوي:

الاستشراق: لفظة لم ترد في المعاجم العربية القديمة[٤]، ولكن سيتم البحث عنها في معاني الكلمات التي اشتقت منها كلمة الاستشراق والمستشرق.

استشرق: طلبَ علوم أهل الشرق ولغاتهم، وهي لفظة مولدة عصرية، تقال لمن يُعنى بذلك من علماء الغرب.

والشرق هو: مطلع الشمس وضوؤها، يعني الشمس حين تشرق[٥]، ومطلع الشمس: موضع طلوعها، والشرق: المشرق، وجمعها(مشارق)، وهذا الجمع هو الذي ورد في القرآن في قول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات:٥]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[المعارج:٤]. وتجمع أيضًا على: أشراق[٦].

والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق. يقال: شتان بين مشرِق ومغرِب، وشرَّقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرَق، ويستعمل في الشمس والقمر، وأشرقت الشمس إشراقا: أضاءت وانبسطت على الأرض، وقيل: شرقت وأشرقت: طلعت[٧].

وما كان من جهة الشرق يقال له: شرقي، والأنثى: شرقية[٨]، واستشرق يستشرق، استشراقًا، فهو مستشرق، واستشرق الأوربي: اهتم بالشرق والدراسات الشرقية، وحضارته ولغاته، ومستشرق [مفرد]: وهو اسم فاعل من استشرق، ومن يهتم من الأوربيين بالدراسات الشرقية يسمى مستشرق[٩].

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي:

الاستشراق هو: علم يدرس فيه لغات الشرق، وتراث وأديان شعوبها وحضارتهم وتاريخهم، وكل ما يتعلق بهم، فالمستشرق يُقصد به: هو ذاك الأوروبي أو الغربي، الذي اجتهد في تعلّم علوم الشرق، وديانة أهلها وحضارتهم، وهو الذي تبحَّر في لغات الشرق وآدابه[١٠].

وعلى هذا فالاستشراق معناه: التحول والانتقال إلى الشرق، ثم أصبح بمعنى طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم، وغلب إطلاق المستشرقين على الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الإسلام ولغته وحضارته، والدراسة التي

يقوم بها المستشرقون تخضع للمصطلح السياسي الذي يقسّم العالم إلى شرق وغرب، ويقسّم الشرق إلى الشرق الأقصى: وهو البلاد التي تقع في أقصى شرق آسيا، والشرق الأوسط: وهو المنطقة الجغرافية التي تضم اليوم: تركيا، وإيران، والعراق، والشام، ومصر، والسودان، وشبه جزيرة العرب، وقبرص، والشرق الأدنى: ويشمل بلاد المغرب العربي.

والاستشراق حركة نبتت في الكنيسة،(١١)، وترجع هذه التسمية بهذا التقسيم إلى ما تعارفت عليه الدول الاستعمارية التي قسّمت مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في تلك البلاد، ويظل الغرب رمزًا للسيادة عليها، ولذا فإن الدراسات الشرقية قلّما تتناول اليهودية والنصرانية مع وجودهما في هذه المناطق، وإنما تعني الإسلام(١٢).

وعُرِّف الاستشراق: "بأنه تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"(١٣).

وعرف الدكتور عبد المتعال الجبري الاستشراق بقوله: "هو دراسة علوم الشرق وأحواله ومعتقداته وبنيانه الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته، وطبائع الأمة الشخصية، ودراسة الهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتي صورها وأنواعها(١٤).

والمستشرقون وهم الذين يدرسون علوم الشرق (العرب والمسلمين)، قرءوا القرآن وحديث الرسول–صلى الله عليه وسلم–، وأرادوا أن يشككوا فيه وفي نقلته؛ فجعلوا يوردون الشبهات في الأحاديث، ويخالفونها بعقولهم، زعمًا منهم أن ذلك نقدًا وتمحيصًا لها، والفرق بين ما يوردون وينقدون وبين ما يورده الأئمة من النقد أنَّ نقد المستشرقين هو شُبه وظنون تحتاج إلى إجابة وإزالة إشكال، وقد تكون معروفة عند المسلمين مسلمًا بها عندهم، كالإيمان بالمعجزات والآيات على صدق رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، أو أنَّ الصحابة قد اعتنوا بالقرآن ودونوه، ولكن كما قيل: "ومَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍ مريضٍ يجد مرًّا به الماءَ الزُلالا"(١٥).

وخلاصة هذا المطلب أنَّ المستشرقين هم من أتوا من بلاد الغرب لدراسة علوم الشرق والبحث في ثقافاته ودراسة قيمه ومعارفه، بدواف متعددة، الأمر الذي يقتضي من الباحث تقديم تمهيد يتناول نشأة الاستشراق وتطوره التاريخي، وهو ما سيُعالج في المطلب التالي.

المطلب الثاني:

نشأة الاستشراق وتأريخه:

اختلف الباحثون في بداية وقت ظهور الاستشراق، وتعود صعوبة تحديد الوقت إلى أنَّ الأفكار تسير متغلغلة دون أن تحدد بزمن دقيق؛ إذ لا يمكن التحديد إلا بأمرين:

أحدهما: أن يصرّح به صاحب الفكرة الأساسي.

وثانيهما: أن يتمَّ التحديد في وقت ظهور الفكرة عند انتشارها.

ومما قيل عن تحديد نشأة الاستشراق، أنه ظهر في أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، حينما وفد إليها كثير من فرنسا وغيرها للتعلم، وقيل: إنه ظهر في أيام الصليبيين وحروبهم مع المسلمين في بداية الاستعمار.

وإذا لاحظنا أنَّ الاستشراق هو امتداد للتنصير، فلا يمنع أن يُحدَّد ظهوره بالعصور الأولى للدولة الإسلامية، إلا أنه كان على صورة غير نظامية، وقد توافر عدد من الباحثين على القول: بأنَّ حركة الاستشراق نشأت في أوروبا في القرن الثامن الميلادي، انطلاقًا من الأندلس وصقلية، حينما التقى الأوروبيون بالثقافة الإسلامية المتفوقة على حضارتهم، وقد حدد بعض الباحثين القرن الثاني عشر الميلادي بداية للاستشراق؛ لما تمَّ فيه للمرة الأولى من ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية عام:(١١٤٣م)، ولما جرى فيه كذلك من تأليف أول قاموس لاتيني عربي[١٦].

ويرجع تاريخ الاسْتِشْرَاقِ في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أنَّ المصادر المتوفرة لا تلقي الضوء الكافي على هذا الموضوع، وإنْ أشارت إلى بعض المسْتَشرِقين كأفراد[١٧]، وقال بعضهم بأنه بدأ يكتمل بوجهه الجديد في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أُنشئت المدارس النظامية، وعُقدت المؤتمرات، وفُتحت المراكز والبعثات والجمعيات والمعاهد، وكان هذا بعد انتهاء الحروب الصليبية[١٨]، وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ومهما تعددت الآراء واختلفت الأقوال حول هذه النشأة وظروفها، أو في محاولة تحديد بداية واضحة ودقيقة يمكن أن تُعَدَّ البداية الحقيقية لتاريخ الاستشراق بخاصة؛ فإنَّ المسار التاريخي لهذه الحركة يستوعب تلك الآراء والأقوال؛ لأنَّها إما أن تكون أسبابًا لنشوء الحركة أو ظروفًا أحاطت بنشأتها أو مظاهر لنشاطها، أو مرتكزات لأطوارها ومراحلها التاريخية.

ويعد القرنان التاسع عشر والعشرون الميلاديان عصر الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية، حيث تعززت مدارسه، وتأسست الجمعيات الاستشراقية، وأصبح لها إصدارات ومجلات، وعقدت مؤتمرات المستشرقين الإقليمية والدولية، وبرزت مظاهر النشاط الاستشراقي في أعمال عديدة بأساليب متنوعة ووسائل مختلفة[١٩].

وقد بدأ المستشرقون في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، ونشأت هذه الجمعيات في إصدار المجلات والمطبوعات المختلفة، فقد تأسست أولًا الجمعية الآسيوية في باريس، عام (١٨٢٢م)، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، عام (١٨٢٣م)

وتأسست الجمعية الشرقية الأمريكية، عام (١٨٤٢م)، والجمعية الألمانية، عام (١٨٤٥م)، وشهد القرن التاسع عشر –أيضًا– بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين، حيث أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان

الفرصة للتنسيق وتوثيق أواصر التعاون والتفاهم، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم، وتجنب ازدواجية العمل وتكراره حرصًا على الإفادة من الوقت والجهد معًا[٢٠].

وما يؤكده الدكتور علي الصلابي أنَّ بداية الغزو الاستعماري الصّليبي كان في إعلان البابا أوربان الثاني عقد مؤتمره الكنسي في مدينة كليرمون (جنوب فرنسا)، وذلك بتاريخ(١٢-٢٢ذي القعدة٤٨٨هـ=١٨- ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م)، وكان البرد شديدًا في ذلك اليوم، ومع ذلك فقد لبَّت جموع هائلة دعوة البابا، واجتمعوا في أحد الحقول الفسيحة في كليرمون، بل وامتلأت القرى والمدن المجاورة بالقادمين من كل مكان لسماع الخطبة التي كان البابا يرتِّب لها منذ سبعة أشهر كاملة، واستمرّ المؤتمر عشرة أيّام، وحضره رجال الكنيسة والأمراء والإقطاعيين والفلاحين من مختلف أنحاء أوروبّا، واستطاع البابا أن يثير حماس السامعين في خطابه، وبنى خطابَه على أكاذيب؛ منها اضطهاد المسلمين للنّصارى في بلاد المسلمين، كما قدّم صكوك الغفران لمن يشارك في هذه الحروب، وقدّم كذلك رعاية الكنيسة لأسرهم مدّةَ غيابهم، ومغريات أخرى[٢١].

فالاستشراق في الحقيقة هو امتداد للحروب الصليبية ضدَّ الإسلام وحقائقه الناصعة؛ لأنَّ الحروب الصليبية لم تنته، وإنما اتخذت أشكالًا وألوانًا مختلفة، منها الاستشراق؛ فالمستشرق قد يجيء إلى الإسلام لابسًا لباس العلم الظاهر، ومدّعيًا البحث عن الحقيقة، ولكنه في الباطن قد عقد النية على جمع المطاعن الملفقة عن الإسلام؛ فلا يلبث أن يرمي الإسلام بكل ما يحمل صدره من غل، وينفث قلمه من سم؛ فهو يتنكر لمنهج العلم الصحيح الذي من شأنه أن يعرض الحقائق، وأن يترك للناس الحكم عليها، دون أن يمزجها بمرارة حقده، ونفثات عداوته، ودون أن يحاول تشويه هذه الحقائق بصورة من الصور، وقد يكون له غايات واهداف أخرى، والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والإسلام، مما يدل على أنه امتداد للحروب الصليبية، وشكل من إشكالها، وقد نشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار[٢٢].

وخلاصة ما سبق أن الاستشراق وُلد في سياق الصراع مع العالم الإسلامي، ثم تحوّل في أواخر القرن الثامن عشر إلى حركة علمية منظمة ظاهرها البحث والكشف، وباطنها التشكيك وزرع الشبهات. ومن أبرز ميادين هذا التشكيك القرآن الكريم، حيث اتجه المستشرقون إلى دراسة القراءات القرآنية، محاولين اتخاذها مدخلًا للطعن في مصدر القرآن ووحدته، متذرعين بتعدد الروايات، ومتسترين وراء غطاء البحث العلمي، بينما دوافعهم في حقيقتها كانت أيديولوجية واستعمارية تهدف إلى الحد من تأثير الإسلام وانتشاره.

وإنه من المهم الوقوف عند دوافع المستشرقين وأهدافهم، إذ إن فهم هذه الدوافع يوضح حقيقة توجههم، ويكشف أن ما قاموا به لم يكن مجرد دراسات أكاديمية محايدة، بل كان عملاً موجَّهًا يخدم أغراضًا فكرية وسياسية واستعمارية، ومن هنا تأتي أهمية تناول هذا الجانب لتفسير مسار الاستشراق ونتاجه العلمي من خلال المبحث التالي والذي

هو بعنوان: علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية ودوافعهم وأهدافهم.

المبحث الثاني:

علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية ودوافعهم وأهدافهم:

سيتناول هذا المبحث علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية، مع الوقوف على الدوافع التي حدت بهم إلى دراسة هذا المجال، وذلك من خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول:

علاقة الاستشراق بالقراءات القرآنية

تعد القراءات القرآنية من أبرز المجالات التي استهدفها المستشرقون في دراساتهم حول الإسلام، فقد حاولوا استغلال هذه القراءات لزرع الشبهات والتشكيك في النص القرآني، ومن هنا تأتي أهمية تحليل علاقة المستشرقين بهذه القراءات لفهم دوافعهم وأساليبهم في إثارة الجدل.

ولقد شكك المستشرقون في القراءات القرآنية المتواترة، وصحة نسبتها إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وألقوا بشكوكهم حول قضية رسم المصحف العثماني وتواتر القراءات القرآنية، وغيرها من الشبهات، وهذا التشكك قد يكون ناشئًا عن غياب التصور الصحيح للقراءات، ومنهج تناقلها، وأنَّ رواياتها تواترت قبل كتابة مصحف عثمان –رضي الله عنه–هذا إذا فرضنا حسن الظن فيهم، وقد يكون أمرًا متعمدًا، وتعمد التضليل وارد في كتابات المستشرقين(٢٣).

ولقد وجّه أعداء الإسلام من المستشرقين عدَّة طعون حول القراءات القرآنية، تُنبِئكَ عن جهل هؤلاء الطاعنين بحقيقة القرآن الكريم، وأنه كلام الله المعجِز، وحقيقةِ تعدد القراءات القرآنية، وقبل كل ذلك: جهلهم بلغة العرب، مع سوء نية، وقبح طويَّةٍ؛ يدفعهم إليها بغضُهُم ما أنزل الله تعالى، وإرادةُ تحريفِهِ عن مواضِعه؛ مستغلِّين جهلَ أبناءِ الإسلامِ، وقلةَ اطِّلاعِهِم على ثقافاتهم، وما دَوَّنهَ أجدادُهم في الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه(٢٤).

فعلى سبيل المثال يقول المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر(٢٥): "فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عَقَدِيًّا على أنه نص منزل، موحًى به، يقدم نصه في أقدم عصورِ تداولِه مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن"(٢٦). فقد اتهم جولد تسيهر النص القرآني بالاضطراب وعدم الثبات لاختلاف وجوه القراءة، وزعم أنَّ هذا الاضطراب لا يوجد في أي كتاب منزّل سوى القرآن الكريم.

ويقول كذلك "والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهورها إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أنَّ الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة، تبعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية

موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أُهمل نقطه أو شكله من القرآن"(٢٧)، فيزعم هنا أن النص القرآني مضطرب، وغير ثابت، وفيه اختلاف كثير.

ويقول المستشرق الألماني تيودور نولدكه(٢٨): "قبل أن نحدد أساليب الوحي نذكر أن كلمة وحي عند المسلمين لا تشير فقط إلى القرآن، وإنما تشير إلى كل إلهام للنبي-صلى الله عليه وسلم-، وإلى كل أمر إلهي حتى لولم تقدم كلماته أبدًا على أنها قرآن، حيث اختلف المسلمون فيما إذا كان قد حدث أنَّ محمدًا-صلى الله عليه وسلم-، رأى ربه وتلقى منه الوحي مباشرة أو لم يحدث"(٢٩)، فيزعم أن نبينا محمدًا-صلى الله عليه وسلم-، لم يتلق الوحي عن الله عزوجل، ثم ذكر كلامًا يشكك في أنواع الوحي وثقل الوحي على النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأنه مريض نفسي، وهذا ضمن محاولته للتشكيك في جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فقد افترض قصة خيالية للوصول لذلك، وهي أنَّ قصة جمع أبي بكر للقرآن قصة تمت صناعتها وفبركتها في سياق الصراع مع عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ، لتجريده من منقبة السبق!

ويقول:" بعد أنْ اضطر المؤمنون إلى التكيُّف مع الحقيقة المرة، وهي أنَّ عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، قد أصبح الأب الروحي للنسخة الرسمية للقرآن، أرادوا، على الأقل، من منطلق المساواة، أن ينسبوا لسلفه، الذي يفوقه أهمية بمقدار كبير؛ جزءًا مما سبق من عمل على هذه النسخة"(٣٠).

فهذا المستشرق يقصد أنّ المسلمين – من وجهة نظره – تقبّلوا في النهاية أنّ الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- هو الذي أقرّ النسخة الرسمية للقرآن وجعلها المرجع الموحد للأمة، بعد أن جُمعت في عهده المصاحف واتّخذ مصحفًا واحدًا، جعله مرجعًا رسميًا، ويذهب إلى أن بعض المسلمين حاولوا لاحقًا إسناد دورٍ أكبر للخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، في مسار جمع القرآن، بهدف الموازنة وإبراز أنَّ عثمان لم يكن وحده صاحب الفضل.

إنَّ المتأمل في هذا الكلام، الذي نُقل عن جولد سهير أو تيودور نولدكه أو غيرهما من المستشرقين، يدرك أنهم يريدون أن يقولوا في دهاء وخبث: إنَّ هذه القراءات تحريفات معترف بها لدى المسلمين خاصتهم وعامتهم،

وأن النصوص الإلهية المنزلة على رسولهم أصابها بعض الضياع، وإنه لم يقل صراحة بالتحريف، وإنما وضع المبررات لوجود التحريف في القرآن الحكيم(٣١).

وقد سلك المستشرقون طرائق ومناهج في دراسة القرآن الكريم تختلف عن تلكم المتبعة في قضايا وعلوم

إسلامية أخرى "ولقد بات من المعروف أنَّ كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به ألبته؛ لأنه لا محالة محطم للمسلَّمات التي يجزم بها المسلمون، ومشكك في الأسس التي يؤمنون بها، وقد أصبح في حكم

اليقين: أنَّ عالَم الاستشراق عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن، محتملاً أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مسلَّمة بدهية تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته، وقد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعًا من التعاطف، أو على الأقل نوعًا من الاحترام النسبي للمصدر الغيبي الذي ينبني عليه الوحي القرآني"(٣٢).

ويزعم أيضًا المستشرق نولديكه" أنَّ بعض القراءات كان سبب الاختلاف فيها يعود لخطأ النساخ أثناء نسخهم للمصحف العثماني، أو لأنه لحنٌ تُرك في القرآن؛ لأن العرب ستقيمه بألسنتها، وأكد هذا بذكر بعض الروايات المنسوبة لبعض الصحابة – كعثمان وابن عباس وعائشة –رضوان الله عليهم(٣٣).

فقد حاول وغيره أن يثبت دعواه أنَّ هناك أخطاء من كُتَّاب المصاحف في المصحف ببعض الأدلة، زاعمًا أن سبب قبولها لدى المسلمين يعود لسذاجتهم في تقديس هذا القرآن الكريم، مدعيًا أنَّ بعض أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم– نسبوا بعض الأخطاء في القرآن الكريم للكُتَّاب، وأنَّ هذا بدوره أدى لوجود القراءات القرآنية ودخول التحريف للقرآن الكريم، وهذا يدل على عدم إدراكه لقواعد الرسم العثماني، ولا لأسرارها فاختلاف حال الكلمة في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها(٣٤).

" فقد بينت بعض الكلمات التي رسمت على هيئتها في القرآن الكريم مدى الدقة التيُ وفِّق لها الصحابة الكرام في كتابة المصاحف زمن عثمان، وذلك أنهم رسموا الكلمة بحيث تقبل وجوه القراءات الأخرى المتواترة الواردة فيها، فإن أمكن رسمها كذلك بها، وإلا فإنهم خصوا بعض المصاحف برسم، والمصاحف الأخرى برسم، وهذا الذي يوضح سبب اختلاف مصاحف الأمصار في رسم الألفاظ القرآنية"(٣٥)، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]. فإن لفظة (مَلِكِ) كُتبت في جميع المصاحف بحذف الألف، فتُقرأ ﴿مَلِكِ﴾، وهي توافق الرسم تحقيقًا، وتُقرأ ﴿مَالِكِ﴾، وهي توافقه احتمالًا وهكذا.

ومثال التي رسمت برسم واحد وتقرأ بأكثر من قراءة متواترة، وهي مختلفة في معانيها لفظة(كبير) من قول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢١٩]، فقد قرأ جميع

القرَّاء هذه الآية بلفظ كبير ماعدا حمزة والكسائي، فقرآها بلفظ (كثير)(٣٦)، وقد رسمت هذه اللفظة بدون نقط ولا شكل، فاحتملت بذلك القراءتين المتواترتين، وتوجيههما: أنَّ من قرأها بالباء: باعتبار عِظَم الذنب، وعِظَم الفاحشة، ومناسبة ما بعدها وهي: (وإثمهما أكبر من نفعهما) ولم يقل: أكثر، وتوجبه من قرأها بالثاء: أنه باعتبار كثرة الآثمين،(شاربها وعاصرها وحاملها...إلخ) وأنَّ اللفظ وقع على أعداد في الخمر، والميسر،

فكانت الثاء في ذلك أولى(٣٧)، فهذا وغيره يبطل فحوى دعواهم الباطلة بوجود التناقض في كتاب الله تعالى، كما يثبت إعجازه في رسمه وبيانه.

إنَّ المستشرقين الذين عملوا على ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى لم يكن غرضهم من ترجمة القرآن الكريم الاطلاع عليه، أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربته بعد الوقوف على مضمونه، وإثارة الشبهات والتشكيك حوله، وكانت تلك المحاولة هي البوادر الأولى للاستشراق، الأمر الذي يؤكد لنا أنَّ الاستشراق في محاولته الفكرية لفهم الإسلام كان دافعه الأصيل: العمل من أجل التنديد والاستخفاف بالمقومات الثقافية، "فقد بينت الدراسات المحققة في الموضوع أن القرآن ترجمه المستشرقون ليحاربوه، وكانت عملية الترجمة تسودها المعاداة المطلقة للإسلام"(٣٨).

وقد انطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحةً لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها، ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها البعض هكذا بكل صراحة: القرآن مترجمٌ بأمانة إلى الإسبانية، ومعلقٌ عليه طبقًا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني(٣٩).

ويتبين مما سبق أنَّ المستشرقين كانت لهم علاقة عدائية حول القراءات القرآنية المتواترة، والتي عملوا على نشرها بين المسلمين وغير المسلمين في جل كتاباتهم وترجمتهم للقرآن الكريم، ومن يتصفح كتبهم يجد فيها المكر والكيد والسموم التي دسوها بين السطور والكلمات.

ومع هذا، لا بد من التوقف عند دوافع المستشرقين، والتعرف على غاياتهم في إثارتهم للشبهات حول القراءات، والطعون التي سلكوها في ذلك، وهو ما سيتناوله المطلب التالي، والذي هو بعنوان: دوافع المستشرقين وأهدافهم.

المطلب الثاني:

دوافع المستشرقين وأهدافهم :

تتعدد الدوافع الكامنة وراء الهجوم على القرآن الكريم وقراءاته، إذ لم تقتصر تلك الدوافع على الجانب العقدي أو الديني، بل امتدت لتشمل أبعادًا فكرية، وسياسية، واستعمارية، تهدف إلى التشكيك في مصدرية النص القرآني وثباته عبر العصور.

أولاً: الدافع النفسي:

وهو شعور نفسي بالعجز عن مواجهة الحقائق التي لدى الخصم مما يؤدي إلى محاولة تحريفها، تعبيرًا عن الإخفاق والعجز عن تقبلها، فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول في الأعم الأغلب إلى الافتراء عليه، كما أنَّ التلبس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بها درءًا للاتهام، على طريقة "رمتني بدائها وانسلت"(٤٠)،

وهو ما يُعرف عند علماء النفس بالإسقاط، والإسقاط: حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه

ورغباته المستكرهة التي لا يتعرف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار.... وذلك تنزيهاً لنفسه وتخففاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب[٤١] وحيث إن الإسقاط يعتبر حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد؛ للتخلص من تأثير التوتر الناشئ في داخله؛ ذلك أن الغلبة تكون للفكر الأقوى، والإسلام كما يشهد الواقع عقيدةً وأخلاقًا هو الأقوى، فقوته ليست من قوة أتباعه كما في العقائد الأخرى، ولكن قوته ذاتية، تتأتى من ربانية هذا الدين؛ لأنه الحق؛ ولأنه الخير؛ ولأنه السلام والأمن؛ ولأنه الحقيقة التي لم تتعرض لزيف أو تحريف أو تشويه، ومن هنا كان إخفاق المستشرقين على المستوى الفكري والمعرفي دافعًا إلى إثارة الشبهات حول القرآن الكريم وقراءاته، والعمل على تشويهه عند المسلمين وغير المسلمين؛ حسدًا من أنفسهم كما قال الله عن السابقين من إخوانهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، لشعورهم الداخلي بالعجز عن مواجهة صدقه وإعجازه.

وقد يتأثر بعض النقّاد بالحقد أو الاستعلاء الحضاري، وقد تدفعهم دوافع نفسية أو حب الظهور في الإعلام إلى افتعال شبهات حول القراءات، دون خلفية علمية رصينة، مما يسهم في نشر الجهل وزيادة البلبلة بين العامة.

ثانيًا: الدافع المصلحي (النفعي الشخصي أو المؤسسي):

المنتفعون على مستوى العالم بتجارة الرقيق، والربا والخمور والمخدرات وأسلحة الدمار الشامل، ومؤسسات الربا العالمية، ومؤسسات الأزياء والتجميل.. إلخ يحاربون القرآن؛ لأنه يُحرِّم هذه الموبقات التي أورثت العالم الغلاء، وكان الكثير منها وراء إثارة الفتن والحروب في العالم، ترويجًا لتجارتهم، وجعل من بعض البلدان أسواقًا للسلاح والمخدرات وغيرها[٤٢]، ومن هنا كان هذا الدافع للمستشرقين سبيلًا للتشكيك في عقيدة المسلمين وكتابتهم؛ حتى تخلو لهم الساحة، وتخضع لهم الشعوب فمِثل هؤلاء لو هلك العالم كله لا يهم، والمهم في نظرهم ألا تتأثر مصالحهم، فمصلحتهم مقدمة على كل اعتبار، وإنسانيتهم المزعومة في نظرهم يجب ألا تتعدى مصالحهم، وألا تصل إليها.

وقد عني هذا الدافع بالسعي لتحقيق مكاسب شخصية أو مؤسساتية من خلال إثارة الجدل حول القرآن وقراءاته، سواء كانت تلك المكاسب مادية، أو شهرة أكاديمية، أو تمويلات خارجية، ويظهر هذا النوع من الهجوم غالبًا في سياقات بحثية مدفوعة أو منصات إعلامية تروّج للأفكار الطاعنة في النص القرآني تحت شعارات حرية الفكر أو التجديد، بينما الغاية الحقيقية هي الاستفادة من الضجة المصاحبة لذلك.

ثالثًا: الدافع الاستعماري السياسي:

الصليبيون لم ييأسوا بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد العرب، وسائر بلاد المسلمين، فاتجهوا لدراسة هذه البلاد في كل شئونها، من عقيدةٍ وعادات وأخلاق، وثروات وتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان؛ بغية أن يتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وعلى مواطن الضعف فيغتنموها، ثم لما تم لهم الاستيلاء العسكري كان من دوافع الدراسات الاستشراقية السيطرة السياسية، وذلك بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم(٤٣).

ولم يكن ليتم لهذا ذلك إلا بالتشكيك بعقيدة المسلمين وإضعاف قدسية القرآن الكريم في نفوسهم، وسلب روح القرآن من عقولهم؛ لأن أي أمة بلا دين ولا هوية ولا عقيدة يسهل الاستيلاء عليها والسيطرة على مقوماتها.

وقد نجحوا في ذلك إلى حد ما، وحتى بعد تحرر البلاد العربية من استعمارهم واحتلالهم إلا أنهم باقون فيها بأدواتهم التي تركوها خلفهم بعد رحيهم منها، ومن خلال استعمارهم هذا عملوا على تجريف هُوية الأمة، وإبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وقيمه، وكل ما يرتبط به من تفسير وقراءات وغيرها، وكان هذا من خلال التشكيك بهذا القرآن الكريم، وإثارة الشبهات حول القراءات المتواترة التي نزل بها، وصناعة مفكرين انحرفوا عن منهج الأمة وسلفها الصالح.

رابعًا: الدافع المعرفي الثقافي:

وهذا يُعد في المستشرقين قليل، فمنهم نفر قليل جدًّا أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم، وأديانها، ولغاتها، وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يحرفوا، لذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق، وهي المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين؛ بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام، وآمن به، وانتمى إلى الأمة الإسلامية، على أن هؤلاء قلما يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الدراسات الاستشراقية بأمانة وإخلاص؛ لأَّن أبحاثهم مجردة عن الهوى الجانح، لا تلقى رواجًا، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين الغربيين؛ بل كثيرًا ما يتعرض هؤلاء للمضايقات ومقاومات شديدة من قبل رجال الدين، ورجال السياسة في بلدانهم(٤٤).

ولما كان الاستشراق النزيه الراغب بالبحث العلمي الحيادي المتجرد عن الهوى الجانح لا يُدر على مرتاديه مكاسب ومغانم؛ كان من الطبيعي أن يندر هؤلاء في أوساط المستشرقين(٤٥).

وهدف هذا الدافع هو إشباع النهم العلمي المتجرد، وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم وحضارة أصيلة، وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلَمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة سواءً في القرآن الكريم أو قراءاته، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية على حقيقتها، فعملوا على تأويلات وتفسيرات لأوجه القراءات القرآنية بدون علم مسبق، وإن كانت نواياهم كما سبق حسنة، لكنها لا تبرر لهم ما عملوه في القرآن الكريم من نشر شبهات سابقة، أو إثارة تساؤلات قد عفى عليها الزمن، كانت مدخلاً للمتربصين بالقرآن الكريم وقيمه.

خامسًا: الدافع التبشيري العقدي:

والمراد به التبشير بالمسيحية، ويطلق على دعوة النصارى الآخرين إلى النصرانية، وينبع هذا الدافع من رغبة المؤسسات والمجموعات التبشيرية في إضعاف ثقة المسلمين بكتابهم، تمهيدًا للتشكيك في الدين الإسلامي ذاته، وذلك من خلال الطعن في وحدة النص القرآني وتنوع قراءاته.

وقد اعتمد كثير من المبشّرين في هذا السياق على تأويلات مغلوطة بهدف إظهار القرآن وكأنه متناقض أو محرّف، في مقابل محاولة إثبات الثبات المطلق لنصوصهم الدينية[٤٦]، فحين قامت جمعيات التبشير، ووضعت من أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية، أو إلى الإلحاد الكامل، وكانت دافع التبشير لدى المستشرقين يتلخص بالرغبة الملحة في سلخ المسلمين عن دينهم، ومحاولة إدخالهم في النصرانية، أو إبقائهم ملاحدة لا دين لهم، حتى يكونوا أطوع للدول النصرانية الطامعة باستعمار بلاد المسلمين، واستغلال خيراتها، وكان من أبرز أهدافه حماية النصارى والشعوب التابعة للكنيسة من الدخول في الإسلام، والحد من انتشار الإسلام على حساب امتداد النصرانية ونشرها[٤٧].

فغاية هذا الدافع هو: إبعاد المسلمين عن دينهم، فإن أمكن تنصيرهم فذلك، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقًا هدف مرجو يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير ذلك[٤٨].

ومع ذلك فإن التبشير المسيحي في العالم ليس أخلاقيًا أبدًا، فإنه يعتمد على القوة واستغلال الظروف الاجتماعية السيئة التي تعيشها هذه الدول الإسلامية، وخاصة القارة الإفريقية وأماكن الصراع فيها، والتبشير بالأديان يجب أن يجري في مناخ متحرر من الضغوط، كما هو الحال في الدين الإسلامي الحنيف.

والخلاصة في هذا أنَّ المستشرقين، بشكل عام، لم تكن نواياهم حسنة في دراستهم لعلوم المشرق الإسلامي، إذ كانت دوافعهم محكومة بالطموحات الاستعمارية والرغبة في السيطرة على بلاد المسلمين، وقد تنوعت أهدافهم وغاياتهم بين الدوافع النفسية، والتبشيرية، والاقتصادية، فضلاً عن دافع المصلحة الذاتية، فيما كان الدافع العلمي نادرًا ومحدودًا.

هذا المزيج من الدوافع قادهم إلى إثارة الشبهات حول القرآن الكريم وقراءاته، بهدف التشكيك وتقويض الثقة في النصوص المقدسة.

وبعد الوقوف على طبيعة علاقة المستشرقين بالقراءات القرآنية ودوافعهم في دراستها، ينتقل البحث إلى استعراض أبرز الأسماء من هؤلاء المستشرقين الذين وجَّهوا الطعن إلى القراءات القرآنية، وذلك لبيان مواقفهم وتحليل منطلقاتهم.

المبحث الثالث:

أبرز المستشرقين الذين طعنوا في القراءات القرآنية:

سيتناول هذا المبحث أبرز المستشرقين الذين وجَّهوا طعونًا إلى القراءات القرآنية من خلال كتاباتهم وأرائهم، وذلك من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأول:

تيودور نولدكه

مولده ووفاته: (١٨٣٦-١٩٣٠م) يعتبر من أكابر المستشرقين الألمان، ولد في هاربورج (بألمانيا)، وأطلق اسمه على أحد شوارعها، وتعلم في جامعات غوتنجن وفينة وليدن وبرلين، نال الدكتوراه(١٨٥٦م)، وهو في العشرين من عمره، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته (أصل وتركيب سور القرآن)، عام (١٨٥٦-٦٠)[٤٩]، وانصرف إلى اللغات الساميّة والتاريخ الإسلامي فعُين استاذاً لهما في جامعة غوتنجن عام(١٨٦١م) ثم في جامعة ستراسبورج (١٨٧٢م) ومات في كارلسروه (Karlsruhe)، له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها (تاريخ القرآن) و (حياة النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- و (دراسات لشعر العرب القدماء) و (النحو العربيّ) و (خمس معلقات) ترجمها إلى الألمانية وشرحها.

نشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثًا كثيرة، منها رسالة في (أمراء غسان) ترجمها إلى العربية بندلي جوزي وقسطنطين زريق، وله بالعربية (منتخبات الأشعار العربية) واشترك في ترجمة (تاريخ الطبري) إلى الألمانية، قال الأب أنستاس الكرملي: "لم نجد بين حملة العلم المعاصرين من بلغ تحقيقه". كان يحسن اللغات الشرقية كلها كالعربية والأرمية والصابئية والحبشية وغيرها، وله تصحيحات وتحقيقات في هذه الألسنة، فضلًا عن معرفته بلغات الغرب، كاليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والإسبانية ولغته الألمانية[٥٠]، فهو من مشاهير المستشرقين الألمان[٥١].

من أهم ما ألفه كتاب تاريخ القرآن، وهو من أوسع ما صدر من كتب في القرن العشرين باللّغة الألمانيّة، وقد تعامل نولدكه وأتباعه وطلاّبه من العلماء مع القرآن كنصٍّ وضعه النبي محمَّد–صلى الله عليه وسلم– نتيجة إلهام، متفاعلًا مع الأحداث والتطوّرات الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة التي واجهها خلال سنين، حيث يتبنّى نولدكه في الجزء الأوّل التّقسيم المعهود للقرآن إلى مكّيّ ومدنيّ، لكنّه يوزّع السور المكّيّة على فترات ثلاث، بعد أن قدّم فهمه وتفسيره للوحي ولمصدر علم النبي محمد–صلى الله عليه وسلم–، وعالج في الجزء الثاني من الكتاب مسألة جمع القرآن الكريم، معتمِدًا على الروايات المتوارثة، مقارنًا بعضها بالبعض الآخر، ومستخلصًا منها النتائج...، بينما يعالج في الجزء الأخير تاريخ نصّ القرآن، مناقشًا أهم خصائص الرسم في مصحف عثمان، ومقارنًا إيّاه بصيغ وقراءات غير عثمانيّة.

ويعتبر هذا الكتاب أخطر كتاب أنتجه الغرب في تاريخه في تعامله مع النص القرآني، بل أصبح ملاذاً للمستشرقين وأساساً في البحث العلمي المتخصص في القرآن الكريم عندهم وخاصة لمن جاء من بعده.

وقد تناول بدوره، شخصيّة الرسول محمّد–صلى الله عليه وسلم– بناءً على معطيات هذا المنهج التاريخي النّقدي، فركّز على الأبعاد التّاريخيّة (اللغويّة–المقارنة) والاجتماعيّة، والسياسيّة، في مقارنة ما بين الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة، وتناول ظاهرة النّبوّة، رواية تاريخيّة قد لا تتّفق مع معطيات النبوّة والرسالة والإيمان.

ويعد نولدكه شيخ المستشرقين، والعجيب أنه لم يرحل مطلقًا إلى البلاد العربية والإسلامية رغم أن تخصصه وعمله كله يتعلق بلغات هذه البلاد وآدابها وجغرافيتها، فقد عاش في فيينا وليدن وجوبا في ألمانيا، وبرلين، له رحلة استمرت ثلاثة أشهر من برلين حتى روما طاف فيها بالبلاد الرئيسية طوال تلك الطريق[٥٢].

قال عنه تلميذه جولد تسيهر عند ذكره شبهاته حول القرآن الكريم: "وقد عالج هذه الظاهرة علاجًا وافيًا وبيّن علاقتها بفحص القرآن زعيمنا الكبير تيودور نولدكه في كتابه الأصيل البكر «تاريخ القرآن» الذى نال جائزة أكاديمية النقوش الأثرية بباريس"[٥٣]. وجولد تسيهر يعتبر من أشهر من خلفه من طلابه في الكيد للإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني:

جولد تسيهر

تاريخ مولده ووفاته: (١٨٥٠–١٩٢١م)، مستشرق مجري، يهودي، عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، ولقد اشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام حتى عد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً في كل ذلك ربما بيهوديته. وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية، يعتبر على نطاق واسع بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا.

تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك، ورحل إلى سورية، عام(١٨٧٣م)، ثم انتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر، وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها، له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقه الإسلامي، والأدب العربيّ، تُرجم بعضها إلى العربية،

ونشرت مدرسة اللغات الشرقية بباريس كتاب بالفرنسية في مؤلفاته وآثاره، ومما نشره بالعربية (ديوان الحُطيئة) وجزء كبير من كتاب (فضائح الباطنية) المعروف بالمستظهري، للإمام الغزالي، وترجم إلى الألمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الأثر) لطاهر الجزائري، وكتاب (المعمرين) للسجستاني، وغيرهما، وترجم إلى العربية، من كتبه أيضًا كتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام)[٥٤]، تضلع من اللغة العربية على شيوخ الأزهر ولا سيما الشيخ محمد عبده متزييًا بزيهم، وهو من أسرة يهودية ذات مكانة وشرف وقدر كبير في المجر التي كانت آنذاك جزءًا من الإمبراطورية النمساوية[٥٥].

يعتبر من أبرز المستشرقين الألمان، الذين اهتمّوا بالتراث العربي، وخصوصًا بحقل الدراسات القرآنيّة، حيث عمل على العناية بالمخطوطات الإسلاميّة وتحقيقها، ولعلّ خبرته ورحلاته وزياراته المبكّرة إلى العالم الإسلامي ساعدته بأن يتميّز بمنهج علمي بارز في التحقيق والنشر، ولم يقتصر على ذلك فحسب، بل ألّف عدّة كتب، منها ما هو مرتبط بالقراءات القرآنيّة، واهتمّ بما يخرج من طبعات للقرآن الكريم، فعمل على نقدها كطبعة (فلوجل)[٥٦] التي بيّن ما يشوبها من أخطاء، كما أبدى آراءه في القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة والمصاحف من خلال الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن، والذي يبدو فيه تأثّره الواضح بمنهج أستاذه المستشرق الألماني نولدكه.

أما دراسته فقد قضى السنين الأولى منها في بودابست، ومن ثم ذهب إلى برلين عام(١٨٦٩م) فظل بها عامًا واحدًا انتقل بعدها إلى جامعة لبيتسك، وفيها كان أستاذه في الدراسات الشرقية (فليشر) أحد المستشرقين النابهين في ذلك الحين، وعلى يديه ظفر بالدكتوراه الأولى، عام(١٨٧٠م)، وكانت رسالته عن شارح يهودي في العصور الوسطى شرح التوراة، ومن ثم عاد إلى بودابست فعين مدرسًا مساعدًا في جامعتها، عام(١٨٧٢م)، لكنه لم يستمر في التدريس طويلًا، وإنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج، فارتحل إلى الشرق وأقام بالقاهرة مدة عام، ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، وفي أثناء إقامته بالقاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر الشريف، ونتيجة لعنايته في الدراسات الشرقية فقد انتخب عضوًا عاملًا في الأكاديمية المجرية عام،(١٨٩٢م)، ثم رئيسًا لأحد أقسامها، عام(١٩٠٧م)، وصار أستاذًا للغات السامية،[٥٧](١٨٩٤م)، ومنذ ذلك الحين وهو لا يكاد يغادر وطنه، بل ولا مدينة بودابست إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين، أو لكي يلقي محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوتها إياه[٥٨].

قال عنه مصطفى السباعي: "عُرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية" كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه: "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" و"العقيدة والشريعة في الإسلام" و "فضائح الباطنية" وغير ذلك"[٥٩].

وقال عنه محمد الغزالي رحمه الله: "إنَّ هذا المستشرق من أعمدة المستشرقين ودهاتهم، ولا شك أنه قرأ كثيرًا من الأصول والمصنفات الإسلامية، ولكنه منذ قرأ وكتب لم يحمل بين جنبيه إلا فؤادًا مترعًا بتكذيب الإسلام، فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من كل شيء دليلًا على أنَّ محمدًا كاذب، وقرآنه مفتعل وسنته مختلقة، والإسلام كله منذ جاء إلى أن بلغنا مجموعة مفتريات"[٦٠].

فقد وصف النص القرآني بالاضطراب وعدم الثبات لاختلاف وجوه القراءة، وزعم أنَّ هذا لا يوجد في أي كتاب منزّل سوى القرآن، فقال "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا على أنه نص منزّل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن"[٦١].

حيث ذهب إلى أن اختلاف القراءات القرآنية راجع إلى خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل إذ يقول وهو يتحدث عن اختلاف القراءات القرآنية: "وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطًا أصلًا، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه[٦٢].

ومن خلال كتابات هذا المستشرق حول القرآن الكريم وقراءاته يتضح جليًا انه كان من أعمدة المستشرقين الذين عملوا على التشكيك في القرآن الكريم، وتشويه الإسلام ورسالته الخالدة.

المطلب الثالث

ريجيس بلاشير

مولده في عام (١٩٠٠-١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، ضليع من العربية، من علماء المستشرقين، ومن أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق، والمجمع الفرنسي الأعلى (الأنستيتو) بباريس.

ولد في مونروج (من ضواحي باريس)، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، (بالمغرب)، وتخرج بكلية الآداب في الجزائر، عام (١٩٢٢م) وسمي أستاذًا في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط،(١٩٢٤-١٩٣٥م) وانتقل الى باريس محاضرًا، فمديرًا لمدرسة الدراسات العليا العلمية (١٩٤٢م) وأشرف على مجلة (المعرفة) الباريسية، بالعربية والفرنسية، وألف بالفرنسية كتبًا كثيرة، ترجم بعضها إلى العربية، وكان مخلصًا في حبه لها، ووفق الى فرض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية، وشارك في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية، من كتبه، وكلها مطبوعة (ترجمة القرآن الكريم) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ الأدب العربيّ) نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم

الكيلاني، و (قواعد العربية الفصحى) و (أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي) ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد أحمد بدوي، و (معجم عربي فرنسي انكليزي)[٦٣].

يقول عنه الدكتور عبد الرحمن بدوي سافر مع أبويه إلى المغرب، عام(١٩١٥م) حيث كان أبوه موظفًا في متجر ثم موظفًا صغيرًا في الإدارة الفرنسية في مراكش التي أعلنت عليها الحماية الفرنسية قبل ذلك بثلاث سنوات، وقضى دراسته في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء، وعين ملاحظًا في مدرسة مولاي يوسف في الرباط بعد حصوله على البكالوريا، فالتحق بالجامعة وحصل على الليسانس من جامعة الجزائر، عام(١٩٢٢م)، وفي عام(١٩٣٦م) حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس برسالتين:

الأولى: عن شاعر عربي من القرن الرابع الهجري: أبو الطيب المتنبي.

والثانية: ترجمة فرنسية لكتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي مع تعليقات وفيرة ومفيدة.

وفي إثر ذلك عين أستاذًا للغة العربية الفصحى في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس، واستمر في هذا المنصب حتى عام(١٩٥٠م)، حيث شغل كرسي اللغة والأدب العربيين في السوربون إلى حين تقاعده، عام(١٩٧٠م)، وشغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس، وانتخب عضوًا في أكاديمية النقوش إحدى أكاديميات معهد فرنس، عام(١٩٧٢م)[٦٤]، كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين[٦٥].

ولم تَخْرج شبهات المستشرق الفرنسي بلاشير في كتابه «مدخل إلى القرآن» عن شبهات جولد تسهير[٦٦].

ومن آثاره دراسات رصينة عن العرب في أشهر المجلات الاستشراقية، كمجلة الدراسات الإسلامية، وهسبيرس، وحوليات معهد الدراسات الشرقية وغيرها[٦٧].

وبلاشير هذا هو الذي عبثت يده بآيات القرآن الكريم تقطيعًا وتقديمًا وتأخيرًا أثناء ترجمته لكتاب الله المجيد، وبلغت به الجرأة أن خطّأ القرآن نحويًا وأسلوبيًا في مواضع غير قليلة، وتعمد تشويه القرآن الكريم بتفسيرات لا يمكن أن تخطر إلا في خيال مريض يهذي، كقوله مثلًا: إنَّ "جنة المأوى" التي ورد ذكرها في سورة "النجم" هي فيلا في ضواحي مكة، وإنَّ "سدرة المنتهى" المذكورة في ذات السورة هي شجرة بجوار تلك الفيلا، وبطبيعة الحال فالرجل ليس مريضا يهذي، لكنه حاقد يتعصب ضد القرآن ويحاربه بهذه الأساليب وغيرها[٦٨].

عمل هذا المستشرق وغيره على أن يوحوا للمسلمين أنَّ القرآن الكريم كأي جهد بشري قابل للزيادة والنقصان والتبديل والتغيير؛ للوصول به لما هو أفضل كما هو في المقياس البشري، والذي دفعهم لمثل هذا اللون من التفكير ما نقل من جهود الصحابة –رضوان الله عليهم– وفي عهد التابعين من إعادة كتابة القرآن الكريم وجمعه؛ حفاظًا على النص القرآني من التحريف والتغيير والنقص والزيادة، واختلاف القراءات فيه جعلهم يظنون أن ذلك

كان من باب التنقيح للنص القرآني والتعديل فيه، ولكن الله سبحانه قد تكفل حفظ هذا القرآن الكريم من أي تبديل وتغيير أو نقص وزيادة فأودع حفظه في صدور المسلمين، وفي السطور[٦٩].

من خلال هؤلاء النماذج الثلاثة للمستشرقين يتضح ويتبين لنا أنَّ المستشرقين بمجملهم لم يكن هدفهم أبدًا الجانب المعرفي البحت، وإنما تشويه الإسلام بالقدح بأهم مقدسات المسلمين، وهو القرآن الكريم، وإنَّ أهم الأحكام التي

أطلقوها على الإسلام وكتابه الكريم ورسوله–صلى الله عليه وسلم–، كانت مأخوذة من فهم خاطئ

للإسلام ذاته، أي: أن العديد منهم كانوا يبنون أحكامهم في أخذ ما كُتب عن الإسلام من مصادر غير واقعية، فقد انطلقوا ابتداءً من الاديرة والكنائس مما يؤكد الخلفية لهم.

والإكثار من الشبهات التي أثاروها هو محاولة لجمع ما قرب وبعد، وما طال وقصر، وما قيل وما لم يقل، من أجل إقناع الجماهير بضعف موقف الحق، وإظهاره في صورة الغريب الشاذ، ولكن الإكثار من الشبهات لا يزيد مروجيها إلا تناقضًا على تناقضهم، يضاف إلى ضعف منطقهم.

وإنَّ أبرز وسائل المستشرقين لنشر أفكارهم كانت:

١ – تأليف الكتب المتخصصة في موضوعات مختلفة عن الإسلام وتراثه الحضاري.

٢ – إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن المجتمعات الإسلامية، مثل مجلة العالم الإسلامي.

٣ – إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية.

٤ – الكتابة في الصحف المحلية ببلادهم والبلاد التي لهم فيها نفوذ.

٥ – عقد المؤتمرات لمناقشة القضايا الإسلامية للوصول إلى آراء تحقق لهم أهدافهم.

٦ – إنشاء موسوعة دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات.

الخـاتـــمة:

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه وعونه هذا البحث الموسوم بـ **(الاستشراق وعلاقته بالقراءات القرآنية)** وقد تضمَّن أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: أهمُّ النتائج:

من خلال هذا البحث يتبين الآتي:

- أنَّ اختلاف القراءات لا يمثل تضادًا في المعنى، بل هو تنوع تعددي مشروع في الألفاظ، أضفى على النص القرآني مزيدًا من الإعجاز البلاغي والبياني.
- أنَّ كثيرًا من المستشرقين تعمّدوا إثارة الشبهات حول القرآن وقراءاته بدوافع ثقافية أو عدائية، وقد استندت دراساتهم غالبًا إلى روايات ضعيفة أو مغلوطة، مع افتقار واضح للمنهج العلمي الموضوعي.
- أنَّ نوايا المستشرقين على الأغلب لم تكن حسنة في دراستهم لعلوم المشرق، وإنما هناك أهداف ودوافع نفسية ومصلحية وسياسية تقف وراء الاستشراق، وغاية جميعها تشويه تاريخ القراءات القرآنية باعتبار القرآن أصلًا أوليًا لكل شرائع وأخلاق الإسلام.
- أنَّ كثيرًا من المستشرقين تجاهلوا الضوابط العلمية الدقيقة لعلم القراءات، مثل التلقي بالسند والضبط بالرواية، وهو ما أدى إلى نتائج مغلوطة في أبحاثهم.

ثانيًا: أهمُّ التوصيات:

بعد إتمام هذا البحث فإنّي أوصي بالآتي.

- تعزيز التعليم المنهجي لعلم القراءات القرآنية، ونشأتها وتطورها، ما يسهم في تكوين وعي علمي قادر على إدراك دور المستشرقين في إثارة الشبهات حولها.
- تشجيع إنتاج أبحاث علمية متخصصة تتناول الشبهات المثارة حول القراءات القرآنية بأسلوب علمي محكم، يلتزم قواعد البحث، بعيدًا عن الانفعال أو التهوين.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، الذي لا أدَّعي فيه الكمال، فالكمال لله وحده، وكل أعمال البشر ناقصة، يعتريها القصور، فإن كنتُ قد أحسنتُ فهذا فضل وتوفيق من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فهذا لأنّي بشر، والخطأ سجيَّة من سجاياه، وصلَى الله وسلَم وبارَك على نبيّنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

الحواشي:

(١) دليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي (ت: ١٣٤٩هـ)، دار الحديث، القاهرة، صـ٤.

(٢) مثل عربي يقال لمن لا يُكترَث به؛ لهوانه .و«قشعم» كُنية عن أشياء،، منها: الحرب والموت.

(٣) القائد إلى تصحيح العقائد: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، صـ٢٢.

(٤) (أتحدث هنا عن المصادر) مثل لسان العرب لابن منظور، أو القاموس المحيط للفيروز آبادي، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ٢٣٢/ ٢٠، نقلاً عن الفكر الإسلامي بالأندلس في تصورات الاستشراق الاسباني- أعمال المؤتمر الدولي حول الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات - محمد عبد الواحد العسري، صـ ٢٥٣.

(٥) معجم متن اللغة العربية، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: (١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ)، ٣١٠/٣.

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر ،بيروت- لبنان، ودار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى،(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٧/ ٤١٣٩.

(٧) لسان العرب، ابن منظور(ت: ٧١١هـ)، باب القاف، فصل الشين المعجمة، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ، ١٠/ ١٧٤، ١٧٥.

(٨) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن المعروف بـ «ابن المبرد» (ت: ٩٠٩ هـ)، تحقيق، رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى،(١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، ٢/ ١٦٧.

(٩) معجم متن اللغة العربية المعاصرة، أحمد رضا،٢/ ١١٩٢، ١١٩٣.

(١٠) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م)، ١٨١/١.

(١١) دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، سعود بن عبد العزيز الخلف، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، صـ١٤٣، والاستشراق والتاريخ الإسلامي، فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى(١٩٩٨م)، صـ٣٠، ٣٣. بتصرف بسيط.

(١٢) ينظر: نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ-١٩٩١م) صـ٩٧، ٩٨.

(١٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، (١٤٢٠هـ)، ٢/ ٦٨٧.

(١٤) الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م)، صـ١٣).

(١٥) البيت من قصيدة مطلعها (خليلي طب على الأيام حالا)، لأبي الطيب المتنبي، وهي من بحر الوافر، ينظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث-٢، تم تحميله في المحرم١٤٣٢هـ= ديسمبر٢٠١٠م، رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com، ١٠٧/٨، وأرشيف منتدى الألوكة٣، تم تحميله في المحرم١٤٣٢هـ=ديسمبر٢٠١٠م، رابط الموقع: http://majles.alukah.net.

(١٦) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر: أحمد سمايلوفيتش، مطبعة دار المعارف، القاهرة، (١٩٨٠م-١٤٠٠ هـ)،صـ٧٠.

(١٧) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، محمد البهي (ت: ١٤٠٢هـ)، مطبعة الأزهر، أعده للشاملة/توفيق بن محمد القريشي ، صـ١١.

(١٨) موسوعة الملل والأديان - الدرر السنية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: ٢، تم تحميله في/ ربيع الأول (١٤٣٣هـ)، ٢/ ٤٩).

(١٩) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبد الله السعدي، ١/ ١٩٦.

(٢٠) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبد الله السعدي ١/ ٢٢١، ١٢٢.

(٢١) ينظر: https://palscholars.org، مقال بعنوان: الحملة الصليبية الأولى، هجمة استعمارية على العالم الإسلامي في عهد السّلاجقة، علي الصلابي، تاريخ تحميل المقال 8نوفمبر، ٢٠٢٣، وتاريخ دخول الموقع ٢٠٢٤/٨/١٤م.

(٢٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت، عدد الأجزاء (١٢٠) عددًا، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء، ١٤/ ٢٣٨.

(٢٣) مدخل في علوم القراءات: السيد رزق الطويل، ت(١٤١٩هـ)، المكتبة الفيصلية، القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، صـ٢٦١. بتصرف.

(٢٤) القراءات القرآنية شُبهات وردود، إسلام بن نصر الأزهري، المدرس المساعد بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ومقرئ القراءات العشر، شبكة الألوكة -قسم الكتب،صـ٢.

(٢٥) ترجمته في المبحث القادم عند الحديث عن أهم المستشرقين الذين طعنوا في القراءات القرآنية.

(٢٦) مذاهب التفسير الإسلامي: المستشرق اليهودي جولد سهير، ترجمة: عبد الحليم النجار، مدرس الآداب بجامعة القاهرة، طبع بمطبعة السُنَّةِ المحمدية:(١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، صـ٤.

(٢٧) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢٨) ترجمته في المبحث القادم عند الحديث عن أهم المستشرقين الذين طعنوا في القراءات القرآنية

(٢٩) ينظر: تاريخ القرآن، للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، ترجمة وقراءة نقدية، نشر وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى، الدوحة(١٤٣٠ه-٢٠٠٩م)، الجزء الأول الوحي إلى محمد ﷺ بين الإنكار والتفسير النفسي، ترجمة: رضا محمد الدقيقي، ٩٢/١.

(٣٠) ينظر: تاريخ القرآن، لنولدكة، (٢٥٥/١).

(٣١) ينظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)، (٦٤٤/١).

(٣٢) الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشرافي المعاصر، حسن عزوزي، مجلة الوعي الإسلامي عدد(٤١١ - ذو القعدة ١٤٢٠هـ فبراير - مارس ٢٠٠٠م)، صـ٢٢.

(٣٣) ينظر: تاريخ القرآن، لنولدكه، صـ٤٠٩-٤٦٥.

(٣٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣٥) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، بحث: من القراءات القرآنية إحدى عشر كلمة اتفق رسمها واختلفت حروف معانيها، لمحمد خازر المجالي، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، السنة الثامنة عشر، العدد(٥٣)،(١٤٤٢هـ ٢٠٠٣م)، صـ٧٧. بتصرف يسير.

(٣٣) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢٢٧/٢).

(٣٦) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، بحث: من القراءات القرآنية إحدى عشر كلمة اتفق رسمها واختلفت حروف معانيها، لمحمد خازر المجالي، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، السنة الثامنة عشر، العدد(٥٣)،(١٤٤٢ه- ٢٠٠٣م)، صـ٧٧. بتصرف يسير.

(٣٧) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، بحث: من القراءات القرآنية إحدى عشر كلمة اتفق رسمها واختلفت حروف معانيها، لمحمد خازر المجالي، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، السنة الثامنة عشر، العدد(٥٣)،(١٤٤٢ه- ٢٠٠٣م)، صـ٧٧. بتصرف يسير.

(٣٨) التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية " من مجلة الفرقان المغربية، العدد:(٢٨ - ١٤١٣ه)، صـ٢٩.

(٣٩) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، منشورات دار الآفاق، بيروت(١٤٠٠هـ)، صـ١٠٤، ومجلة الفرقان المغربية، موضوع: التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، العدد:(٢٨- ١٤١٣ه)العدد(٢٨)سنة، (١٤١٣ه) صـ٣٠.

(٤٠) مثل يقال لمن يُعيِّر شخصًا بعيب هو فيه، وهو لإحدى ضرائر رهم بنت الخزرج، امرأة سعد بن زيد مناة، رمتها رهم بعيب كان فيها، فقالت الضرة ذلك. ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى،(٢٠٠١م)، ٢٤٣/٢.

(٤١) ينظر: أصول علم النفس: أحمد عزت راجح، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: السابعة صـ٤٧٨.

(٤٢) اتجاهات فكرية معاصرة: مناهج جامعة المدينة العالمية، ألف خاصا لمرحلة: ماجستير، جامعة المدينة العالمية، صـ٢٩٣.

(٤٣) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبد الرحمن حَبَنَّكَة صـ١٢٩. واتجاهات فكرية معاصرة: صـ٢٩٢-٢٩٧.

(٤٤) لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الخامسة عشرة، (١٤٢٥هـ٢٠٠٤م)، صـ١٩٧، وآراء المستشرقين حول القرآن، لعمر بن إبراهيم رضوان، ٣٦/١، والاستشراق والمستشرِقون ما لهم وما عليهم: مصطفى بن حسني السباعي، (ت:١٣٨٤هـ)، دار الوراق للنشر والتوزيع - المكتب الإسلامي، صـ٢٠-٢٥

(٤٥) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، صـ١٩١.

(٤٦) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية: نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، صـ١٦٥.

(٤٧) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبد الله السعدي، ٢٢٧/١.

(٤٨) الاستشراق والمستشرِقون، للسباعي، صـ٢٠-٢٥.

(٤٩) المستشرقون، لنجيب العقيقي، ٢/ ٣٨٠.

(٥٠) الأعلام للزركلي، ٢/ ٩٦، ٩٧، ٩٨.

(٥١) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر، سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار العفاني مصر، الطبعة: الأولى،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م)، ٤/ ٢٩٤.

(٥٢) موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، صـ ٥٩٦، ٥٩٧) بتصرف يسير.

(٥٣) مذاهب التفسير الإسلامي، صـ ٧.

(٥٤) الأعلام : للزركلي، ١/ ٨٤، وموسوعة الأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، ١/ ١١٣.

(٥٥) المستشرقون: لنجيب العقيقي، ٣/ ٤١.

(٥٦) هو مستشرق ألماني قام بإصدار فهرس موضوعي لآيات القرآن الكريم سماه) (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) حوالي عام(١٢٥٧هـ) وقصد من وراء هذه الفهرسة - بحسب رأي بعض الباحثين - إعادة ترتيب القرآن حسب الموضوعات، إذ إنه بهيئته التي جمعه عليها المسلمون غير مرتبة من وجهة نظره.

(٥٧) اللغات الساميّة أو اللغات العروبية هي فرع من عائلة اللغات الأفروآسيوية، وهي فرع استقل تدريجياً ليشكل ما يفترضه اللغويون من لغة سموها اللغة السامية الأم .وتُنسب هذه اللغة للساميين، استخدم المصطلح لأول مرة في ثمانينيات القرن الثامن عشر من قبل أعضاء من مدرسة غوتنغن للتاريخ، الذين اشتقوا الاسم من (سام) وهو أحد أبناء نوح الثلاثة، كما جاء في سفر التكوين، وسفر التكوين هو أول أسفار الكتاب المقدس العبري والعهد القديم المسيحي.

(٥٨) موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، صـ: ٩٧، ٩٨. بتصرف بسيط.

(٥٩) الاستشراق والمستشرقون، لمصطفى السباعي، صـ٤١.

(٦٠) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: محمد الغزالي، شركة نهضة مصر، الطبعة السابعة، (٢٠٠٥م)، صـ٥،٤.

(٦١) ينظر: مذاهب التفسير الإسلامي، صـ ٤.

(٦٢) ينظر: المصدر السابق صـ :٨، ٥٣، ٥٤.

(٦٣) الأعلام، للزركلي، (٢/ ٧٢).

(٦٤) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، صـ ١٢٧.

(٦٥) الموسوعة الميسرة في الأديان، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢/ ٦٩١.

(٦٦) نزول القرآن على سبعة أحرف، صـ: ١٠١.

(٦٧) المستشرقون، لنجيب العقيقي، ١/ ٣٠٩.

(٦٨) نقلًا عن أرشيف ملتقى أهل الحديث – ١، تم تحميله في: (المحرم١٤٣٢هـ = ديسمبر ٢٠١٠م)، هذا الجزء يضم: المنتدى الشرعي العام، رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com، ٤١/ ٢٠٢.

(٦٩) آراء المستشرقين حول القرآن، لعمر بن إبراهيم رضوان، (٤٣٥/١).